

الأعلاج واعتناقهم الإسلام من خلال الكتابات الأوروبية 1588-1699

Picture of renegades in European writings 1588-1699

الباحث: محمد بستي

إشراف : د. عبد القادر دوحه

جامعة الجبالي بونعامة- خميس مليانة (الجزائر)

مخبر المؤسسات الجزائرية عبر التاريخ ودورها في التنمية الوطنية

Aek.douha@univ-dbk.m.dz

البريد الإلكتروني: m.becetti@univ-dbk.m.dz

تاريخ النشر: 2020/03/27

تاريخ القبول: 2020/02/24

تاريخ الإرسال: 2020/02/04

المراسل الرئيسي: محمد بستي

m.becetti@univ-dbk.m.dz

ملخص:

يعالج المقال التالي صورة الأعلاج في المصادر الأوروبية لرجال الدين والأسرى والرحالة، والدعاية الدينية ضد معتنقي الإسلام خلال القرنين السادس عشر والسابع عشر، وحقيقة إجبار الأسرى والمسيحيين الأوروبيين على اعتناق الدين الإسلامي فجون راولنز والأب دان والأب هير و كتاباتهم مليئة بالحقد والتعصب ضد الأعلاج، حاولوا إظهار أن المسيحيين أجبروا على اعتناق الإسلام بالقوة، كما قاموا بتصوير العليج على أنه سكير مقامر منبوذ ومكروه فضل نزواته الجنسية وتحسين وضعه الاجتماعي والاقتصادي مقابل خيانة وطنه وثقافته، لكن في الواقع أن الأعلاج شخصيات محترمة اعتنقوا الإسلام عن طيب خاطر دون إجبار ودافعوا عن الإسلام وإيالة الجزائر.

الكلمات المفتاحية:

الأعلاج، الإسلام، المسيحية، اعتناق الإسلام، الدعاية الدينية.

ABSTRACT :

The following article examines the image of "Elches" in European sources of clergy, prisoners and travelers, and religious propaganda against converting to Islam during the 16th and 17th centuries. John Rawlins, Pierre Dan, and Pierre Hérault, whose writings are full of hatred and intolerance about "Elches", have attempted to show that Christians were forced to convert to Islam either by manipulation or intimidation. And portrayed the elche as a drunken outcast and disliked gambler who favored his sexual fantasies and improving his social and economic status in exchange for betraying his homeland and culture. In reality, however the "Elches" proves that they are respected figures where they defended on Islam.

Keywords: Elches ; Islam; Christianity ; Religious Propaganda ; convert to Islam.

1. مقدمة:

شهد القرنين السادس عشر والسابع عشر موجة من الهجرات الأوروبية اتجاه الأراضي الإسلامية خاصة شمال إفريقيا هروبا من الأوضاع التي شهدتها أوربا خلال هذه الفترة واعتناق الآلاف من المسيحيين للدين الإسلامي طواعية، ولقد شكل اعتناق المسيحيين الأوروبيين للإسلام موضوع دعاية دينية نظرا للعدد الكبير من المسيحيين الذين اعتنقوا الإسلام، وظهرت الكثير من الكتابات خلال الفترة الحديثة ترى أن اعتناق هؤلاء للإسلام خاصة الأسرى لم يكن بالقوة وأن المسلمين لم يجبروا أسراهم على اعتناق العقيدة الإسلامية، في حين رأى آخرون خاصة رجال الدين المكلفين بفداء الأسرى أمثال الأب هير و الأب دان وحتى الأسرى الذين ألفوا رواياتهم أمثال جون راولنز وديغو دو هايدو أن الأسرى والأوروبيين المسيحيين أجبروا على اعتناق الإسلام بالقوة، وبدأت مع ذلك حملة تشويه صورة الأعلاج لدى الأوروبيين والدعاية ضدهم وترويج

في كتاباتهم أن اعتناق الإسلام لم يكن اقتناعاً به بل أجبروا ودفعتهم الظروف الاقتصادية والاجتماعية إلى التخلي عن عقيدتهم واعتناق الإسلام. فكيف كانت نظرة الكتابات الأوروبية إلى الأعلاج؟، وهل تم إجبارهم على اعتناق الإسلام؟ أم اعتنقوا طواعية؟.

2. تعريف العليج:

1.2 العليج لغةً:

تعني لفظة العليج الرجل من كفار العجم ومؤنثه علجة أو علجية، ولها عدة معاني في اللغة العربية عند العرب القدامى فتعني الرجل الشديد الغليظ ويقال للرجل القوي الضخم من الكفار علجا وكذلك الشديد قتالا ونبطاحا، وجمع العليج أعلاج أو علوج¹.

تعتبر كلمة عليج غنية بالمعاني الكثيرة والمتعددة فيقال العليج هو كل ذي لحية، وتطلق على الحمار الوحشي إذا سمن وقوى، وعلى رغيغ الخبز الغليظ².

2.2 العليج اصطلاحاً:

تغير معنى مصطلح عليج من الدلالة على الشكل والقوة عند العرب إلى مصطلح يطلق على المسيحيين الأوروبيين الذين تخلوا عن الدين المسيحي واعتنقوا الدين الإسلامي، ومعناها في الفترة الحديثة نجده هو نفسه بالإيالات العثمانية في شمال إفريقيا فكلمة عليج في الجزائر كانت متداولة في تونس والمغرب³.

لقد كان يشار للمسيحيين الذكور الذين اعتنقوا الإسلام بلفظة العليج بعد اسم العلم أو قبله الذي يمنح لهم بعد دخولهم الإسلام مثل العليج علي⁴ أو العليج مصطفى⁵، والعلجة أو علجية بالنسبة للنساء مثل عائشة العلجة بنت عبد الله⁶ والحاجة مريم العلجة⁷، أما الرجال أو النساء من اليهود الذين اعتنقوا الإسلام فيشار إليهم بالإسلامي أو الإسلامية فيقال مثل ما هو موضح في أحد سجلات بيت المال: نفسة بنت شعبان المعروفة بابنة الإسلامية⁸.

مثلاً وضحنا أن لفظ العليج أو العلجة تأتي أحيانا مقترنة باسم علم مثل الأمثلة السابقة لكن في بعض الحالات تغيب كلمة العليج وتعوض بـ "ابن عبد الله" أي ينسب العليج إلى أب غير حقيقي يدعى عبد الله⁹، وتشير فتيحة الواليش إلى ذلك: "... في النصف الثاني من القرن السادس عشر والنصف الأول من القرن السابع عشر كان جزء كبير وفي بعض الأحيان الأغلبية من رياس البحر من المتحولين، وكانت لهذه الفئة حضوراً واسعاً في مدينة الجزائر تحت اسم ابن عبد الله "B.Abdallah" ..."¹⁰، كأن يقال يوسف بن عبد الله¹¹ أو أحمد بن عبد الله¹²، وفي هذه الحالات فإن تمييز الأعلاج عن المسلمين الجزائريين يصبح غير ممكن أحيانا لأن اسم عبد الله كان من الأسماء المستخدمة داخل العائلات الجزائرية، فمن الممكن أن اسم الأب حقيقي ففي هذه الحالة يصعب معرفته إن كان علجاً¹³، والملاحظ أن لفظ ابن عبد الله أطلق على الذين اعتنقوا الإسلام ولكن لم نجده بعد أسماء كبار الأعلاج أمثال مراد راييس أو علي بتشين هذه اللفظة ما عدى العليج علي، وإن كانت بعض الأسماء الأكثر تداولاً بينهم مثل مامي ومراد ورمضان وحسن وجعفر وصفير ورضوان التي تأتي قبل لقب ابن عبد الله، فإذا لم يسمح السياق بالتمييز فمن الصعب التأكد من أنهم أعلاج¹⁴.

أما عند الأوروبيين عرفوا في المصادر والأدبيات الأوروبية بالمرتدين " *Les Renégats* " ¹⁵ ، وأطلق المسيحيين الأوروبيين عدة مصطلحات على الأعلاج فهم في نظرهم المرتدون *Renegades* ، الخونة *traitors* الرجعيين *Turncoats* ليس لأنهم "خانوا المسيح" فقط، بل لأنهم ذهبوا إلى أكثر من ذلك بانضمامهم إلى الجهاد والدفاع عن الإسلام واسر المسيحيين من أمتهم وأخذهم إلى السواحل الجزائرية وبيعهم كعبيد، ¹⁶ وأطلق ديغودو هايدو على جميع الأعلاج الأتراك بالخدمة " *Les turcs de profession* " والمسيحيين بالدم ¹⁷ .

ويفسر هايدو كلمة العelj بقوله: "والعelj تعني باللسان الموريسكي الموري الجديد أو المعتنق حديثا للإسلام أو المرتد"، ويذكر أن العelj ليس اسم بل هو لقب يدعى به من يعتنق الإسلام (يقصد العelj علي) *Nouveau More, Nouveau ¹⁸ converti, ou Renégat*.

ولكن في الفترة المعاصرة ظهر مصطلح جديد، وأصبحت الكثير من الدراسات تطلق مصطلح " المتحول" بدلا من العelj أو المرتد، فالباحثون المعاصرون أطلقوا لقب "المتحول" كمصطلح موضوعي على الأوروبيين الذين دخلوا في الإسلام خلال الفترة الحديثة، لإحداث توازن في الأبحاث التي تناولت قضية "المرتد" في الثقافة الغربية والمهتدي في الثقافة الإسلام. ¹⁹

3. الدعاية الدينية ضد الأعلاج

1.3 حقيقة إجبار الأسرى والمسيحيين الأوروبيين على اعتناق الإسلام:

حاولت معظم المصادر والكتابات الأوروبية إظهار أن الأسرى المسيحيين أجبروا على اعتناق الإسلام، إما عن طريق استعمال القسوة والتعذيب أو استعمال الحيل لجذب المسيحيين وجعلهم مسلمين، أو دوافع أخرى تجعل من الأسير المسيحي أو المسيحي الحر يعتنق الإسلام مكرها كالأَسباب النفسية أو الجنسية أو الاقتصادية، فالأب دان والأب هير و غيرهم من رجال الدين المكلفين بفداء الأسرى اكتفوا فقط بإظهار أن اعتناق الأسرى للإسلام لم يكن سوى باستعمال القوة أو من أجل تحسين الوضع الاجتماعي أو الاقتصادي.

يرجع جون راولنز *John Rawlins* الذي كان أسيرا بالجزائر أن اعتناق الأسرى للإسلام راجع إلى استعمال القوة والضرب وظروف الصعبة التي يعيشونها "إنهم يضعون الأسرى على ظهورهم وبطونهم ويضربونهم إلى أن ينزف الأسير من فمه أو انفه، وإذا حدث واستمر الأسير في الثبات فإنهم يضربونه على أسنانه ويضغطون على لسانه والعديد من أساليب التعذيب الأخرى، ولأن الكثير من الأسرى يخافون هذه الأنواع من التعذيب فإنهم يلجئون إلى اعتناق هذا الدين الجديد..." ²⁰.

إن ظاهرة اعتناق المسيحيين للإسلام التي لم تشهدها أوروبا من قبل جعلت الأب دان يتساؤل عن حقيقة وجود الكثير من الأعلاج المتحولين من المسيحية للإسلام كتب يقول: "... من أين جاءت كل هذه الأعداد الكبيرة من المرتدين الذين التحقوا "بدين محمد"؟، في مقابل ذلك الأتراك لم يتخلوا عن دينهم ولم يلتحقوا بسفينة المسيحية...". وان الإحصاءات المقدمة من طرف الأب دان عن عدد المسيحيين الذين تخلوا عن دينهم واعتنقوا العقيدة الإسلامية خلال القرن السابع عشر والمقدرة ب 8000 رجلا من جميع الدول الأوروبية و 1200 امرأة من إيطاليا وإسبانيا والبرتغال واليونان وإنجلترا، ²¹ أنهم أعلاج أجبروا على اعتناق الإسلام مقدما أمثلة لعدة حالات لكنه تعمد تجاهل المسيحيين الأسرى والأحرار الذين اعتنقوا الإسلام طواعية.

يفسر الأب دان هذه الظاهرة بأنها ليست عن طيب خاطر لان الأسير وغيره يتعرضون للتعذيب والقسوة من العثمانيين "...بعد اسر السفينة والنظر فيما تحمله، يتم اختيار الأطفال وكل شخص ذو قيمة، ويستعملون الكلمة الطيبة ويعاملونهم معاملة حسنة ويعدونهم بحياة جميلة، وإذا لم يتمكنوا بهذه الطريقة تغيير دينهم فإنهم يلتجئون إلى القسوة والتعذيب مستخدمين العصا في ذلك، حيث يوضع الأسير على الأرض وتوجه إليه ما بين 200 إلى 300 ضربة على البطن والمؤخرة إلى أن يعلن انه أصبح مسلماً..."²².

وحسب الأب هيرو أن جميع الأعلاج انجذبوا إلى الإسلام ليس رغبة في خدمة هذا الدين أو من اجل العبادة وتوحيد الله وإنما اعتنقوا الإسلام ظاهرياً، واقتصر فقط على اللباس وبعض كلمات التوحيد التي اجبر الأسير على ترديدها وهذا راجع للأسباب التالية²³:

- استعمال القوة و التعذيب والحيلة.
- تحسين الظروف المعيشية والزواج بامرأة مسلمة والاستسلام بسهولة إلى نزواتهم.
- الانتقام من أعدائهم الأتراك الذين أساءوا معاملتهم وأهانوهم.
- تجنب العبودية والأسر، والخوف من عدم تلقي أي مساعدة للحصول على أموال الفداء.
- الهروب من ماضيهم السيئ في أوروبا.

يحاول الأب هيرو إظهار أن الإسلام جذب فقط المسيحيين ذوي الإيمان الضعيف الذين تجتمع فيهم الصفات السيئة وجميع الرذائل وليس لهم أي عاطفة اتجاه الإسلام، كتب يقول: "...للوصول إلى أن تصبح تركيا يجب أن تكون شهواني، مقامر، كسول، لص، مجرم، مزور وساحر، فلا غرابة أن يسقط من به هذه الصفات في فخ الردة..."²⁴.

ويرجع الرحالة الانجليزي هنري بلونت Henry Blaunt سبب اعتناق الأوروبيين للإسلام إلى سياسة القوة التي اتبعتها الدولة العثمانية اتجاه المسيحيين الذين كانوا تحت حكمها سواء في ارمينيا أو اليونان أو أي جهة أخرى من أوروبا "إن تعرض المسيحيين للقمع والضرائب وحرمانهم من أطفالهم أدى إلى اعتناقهم الإسلام مكرهين لكن هؤلاء المتحولين كانوا يحضون بالقدر الكبير من الاحترام عند العثمانيين"²⁵.

وإذا كانت الكتابات الفرنسية والاسبانية رأت أن الأسرى اجبروا على اعتناق الدين الإسلامي بالقوة والتعذيب فإن الكتابات الانجليزية ترى أنهم اجبروا على ذلك لكن باستعمال طريقة أخرى وهي إغرائهم بالمناصب الإدارية والأموال والثروات، ويرجع الأدباء والكتاب الانجليز سبب اعتناق الإسلام انه مرتبط بالجانب المادي والروحي وقد لاحظوا كيف أن الانجليز غيروا دينهم لمجرد نزوة جنسية أو من اجل الثورة فمن اجلها فقدوا كل شيء. "في مسرحية نسبت إلى وليام رولي William Rewley وتوماس مديلتون Tomas Middleton انطونيو Antonio كان على استعداد لاعتناق الإسلام ويصبح علجاً من اجل إرضاء شهوته"²⁶.

وبعد دخول انجلترا وهولندا البحر الأبيض المتوسط بداية القرن السابع عشر تم اسر الكثير من المسيحيين من دول شمال أوروبا والكثير منهم اعتنقوا الإسلام طواعية أو قسراً، وصرحت زوجات البحارة الذين تم القبض عليهم أن أزواجهن كانوا بائسين في الأسر عند المسلمين لدرجة أنهم كانوا على وشك التحول والتخلي عن دينهم، وذكر الوزير كوك أن العديد من البحارة الانجليز الذين استعبدتهم القراصنة المسلمون تحولوا إلى أتراك،²⁷ ولم تكن الكتابات الانجليزية تختلف عن باقي الكتابات الأوروبية الأخرى التي رأت أن دول

شمال إفريقيا أجبرت الأسرى على اعتناق الإسلام، فالحكومة الانجليزية كانت تشجع الأسرى الذين تم تحريرهم على كتابة رواياتهم عن الأسرى في إيلات شمال إفريقيا.

وعلى عكس ما ذكر سابقا ظهرت الكثير من الكتابات خلال الفترة الحديثة ترى ان اعتناق المسيحيين للإسلام خاصة الأسرى لم يكن بالقوة وان الجزائريين وغيرهم لم يجبروا اسراهم على اعتناق الدين الاسلامي، كتب لوجي دو طاسي *Laugier de Tassy*: "... الكثير من الناس يعتقدون أن العبيد المسيحيين اجبروا على اعتناق الإسلام وان المسلمين يطلبون ذلك منهم، فبعيدا عن ترغيبهم في الإسلام فان الأسىاد سيكونون غير راضيين عن عبيدهم الذين تنكروا لدينهم، والأسير ليس حرا في تغيير دينه وإذا جرى وغير الأسير دينه فان الأسىاد سيخسرون الكثير من الأموال التي يتلقونها من بلدانهم عند عملية الفداء...²⁸".

ربما كانت هناك حالات لإجبار الأسرى على اعتناق لإسلام إلا أنها لم تكن كثيرة لان التحول إلى الإسلام قسرا قد تتبعه عواقب الانتقام من طرف المتحول يروي بلونت أن احد الأعلاج من بلغراد كان يسكن احد المنازل بالقرب من نهر الدانوب حيث وجده بلونت في إحدى الليالي في حالة سكر لينكشف أمره من طرف الأتراك الذين اعترف لهم بأنه في كل أسبوع تقريبا وخلال الأشهر الستة الماضية كان ينتقم من العثمانيين وذلك بإلقاء أطفالهم في النهر وأحيانا في أماكن أخرى.²⁹

ويقتر جوزيف بيتس *Joseph Pitts* أن الادعاءات والروايات الأوروبية التي تفسر استعمال القوة لإجبار المسيحيين الأوروبيين أو الأسرى لدخول الإسلام هي تقارير كاذبة، رغم إجبار جوزيف بيتس على اعتناق الإسلام من قبل سيده، ذكر يقول: "... إن القسوة والتعذيب التي مارسها علي الأتراك رغم صغر سني كثيرة جدا وعظيمة لدرجة أنني لم أتمكن من الصمود وتحملها وهنا اخترت أن أتحوّل إلى تركي لتجنبها، وان ما يذكره الآخرون أن هذا العمل يتكرر مع الإنجليز عندما يأسر الجزائريين المسيحيين يضعونهم في أقصى ضروب التعذيب بحيث يتم إجبارهم على اعتناق دين محمد هو تقرير كاذب، لأنهم أبدا أو على الأقل نادرا ما يتم استخدام أي نوع من الشدة في هذا الأمر باستثناء ما فعلوه معي لا يستخدمون أي قوة لإجبار أي مسيحي على التخلي عن دينه"³⁰.

ولعل عبارة العلاج أو "المترد" *Renégat* في كل اللغات الأوروبية كانت تشير إلى الرجل ذي السمعة والسلوكات السيئة، السكر، المخمور، المدمن على القمار، الذي طرد من وطنه، الغير مرغوب في عودته، وان أوربا تخلصت من سكير مسيحي الذي أصبح سكيراً مسلماً،³¹ لكن الواقع أن الجزائريين كانوا يفضلون العبد المتمسك بإيمانه بالمسيحية على العبد الأقل إيمانا، ولم يكونوا متحمسين لجعل وإجبار مسيحي سيئ كبير في السن يعتنق الإسلام، ففي نظرهم أن المسيحي السيئ لا يمكن أن ينتج مسلماً صالحاً، لذلك كان الأسير ذو الشخصية الجيدة والسلوك الحسن الذي يرغب في اعتناق الإسلام هو فقط الذي استقبل في المجتمع المسلم، خاصة الأطفال كثيرا ما أصبحوا ورثة أسيادهم فسلوكهم الحسن جعل أسيادهم يمنحونهم جزءا من الميراث.³²

والواقع أن الاسبانين والايطاليين اعتنقوا الإسلام طواعية أكثر من غيرهم حيث لاحظ بن ناصر برتولومي أن من مجموع عينة تضم 71 فرد دخلوا الإسلام طواعية " 29 منهم حالة اسبانية و21 حالة ايطالية، بالإضافة إلى 6فرنسيين و4 برتغاليين واحد قبرصي وواحد ارميني واثنين من المجر بما في ذلك واحد

من بلغاريا وخمسة من اليونان على سبيل المثال لا الحصر". تذكر بعض الوثائق انه " هرب طوعا إلى الإسلام" دون معرفة أسباب المغادرة، "هرب بحار من كالابريا في سن الثلاثين سنة 1586 وهرب الشاب الفرنسي لويس كادير الذي لم يتجاوز ثمانية عشر إلى الجزائر سنة 1588"³³.

2.3 الاعتراف الطوعي للإسلام من طرف المسيحيين:

شهدت ايلات شمال إفريقيا بداية العهد العثماني موجة من الهجرات للمسيحيين الأوروبيين هروبا من الأوضاع التي كانت تشهدها أوروبا، فمن كل مناطق أوروبا من شمالها وجنوبها كانت تتوجه السفن محملة بأعداد كبيرة من المسيحيين باتجاه ايلات العثمانية في المغرب العربي، وقد فضل الكثير منهم اعتناق الإسلام طواعية وعن طيب خاطر وذلك راجع إلى التسامح الديني الذي كان سائدا بهذه الايلات والجزائر مثلا قدمت لهؤلاء كل فرص الارتقاء السياسي والاجتماعي في الدولة.

يرى بن ناصر برتولومي Bartolomé Bennassar أن اعتناق الإسلام خلال القرنين السادس عشر والسابع عشر، ظاهرة غير قابلة للقياس الكمي ولكن حسب تحليله شهد هذين القرنين مئات الآلاف من المسيحيين من مختلف البلدان الأوروبية عبروا إلى الشمال الإفريقي والمعسكرات الإسلامية، سواء كان ذلك طواعية منهم بفرار البحارة والجنود من الجيوش والأساطيل المسيحية، أو أنهم فقراء من الجهة الشمالية من البحر المتوسط رأوا في المدن الإسلامية أماكن للسلطة والثروة.³⁴

ونأخذ كمثال احد الملاحظين خلال القرن السادس عشر وهو ديغو دو هايدو، الذي قدم لنا عدد معتنقي الإسلام بالجزائر ب 6000 منزل من مجموع 12200 منزل بمدينة الجزائر، "هم وأطفالهم أكثر عددا من غيرهم من سكان الحضر والأترار واليهود، لأنه لم توجد دولة مسيحية لم تقدم نسبة كبيرة من الأعلاج للجزائر"³⁵، ويقدم لنا تقرير اسباني انه في 11 جوان من سنة 1535 خرج خير الدين بربروس اتجاه تونس مع 1800 عالج وفي 18 جوان ضمت القوات البحرية والبرية لخير الدين بربروس 6500 جندي منهم الألبان واليونانيين و 600 عالج معظمهم من اسبانيا.³⁶

ومع بداية القرن السابع عشر بعد دخول دول بحر الشمال إلى البحر الأبيض المتوسط لاحظ قراماي Gramaye أن المتحولين بين 1609 و 1619 الذين رغبوا في هجرة عقيدتهم كانوا 857 ألمانيا 138 رجلا من همبورغ، 300 انجليزي 130 هولندي وفيلمنكي، 160 دانماركي و 250 بولوني ومجري.³⁷

ومن المحتمل أن خمسمائة من الأسرى الهولنديين قد اعتنقوا الإسلام طواعية والذين رأوا أن الجزائر رحبت بهم ومنحتهم مكانة اجتماعية بعد المعاملة الحسنة التي تلقوها من الجزائريين وعرضت عليهم فرصا أكثر للثراء من وطنهم الأصلي، فكانوا يأملون في أن يحذوا طريق يان جانسز jan jansz و دي فينبور de veenboer اللذان أصبحا بعد اعتناقهما الطوعي للإسلام يحملان أسماء عربية مراد رايس وسليمان رايس وملكين على الجزائر وسالا، وفي سنة 1625 كان هناك من بين 55 رايس في الجزائر ستة أعلاج هولنديين منهم توماس ويعقوب ورجب هجروا وطنهم واعتنقوا الدين الإسلامي.³⁸

خلال القرن السابع عشر كان اعتناق الإسلام حقيقة اجبر العديد من الانجليز على تقبلها ولم يكن الإسلام خلال العهد العثماني قوة عسكرية فقط، بل كان قوة تجارية وحضارية أيضا فقد أتاح العثمانيين للأوروبيين المسيحيين ذوي الرتب الاجتماعية أو المالية المنخفضة الحصول على الثروة والسلطة فتخلى الكثير

عن إيمانهم بدينهم عن طيب خاطر وسعوا إلى تحقيق مثل هذه الأهداف، ففي رسالة من أحد القادة العثمانيين الموجهة إلى البابا سنة 1606، يتباهى فيها أن الجيش العثماني يتكون من 30.000 عالج يشتغلون في المدفعية ومختلف الوظائف العسكرية³⁹.

ولقد توالى الهجرات الأوروبية باتجاه الشرق وخاصة نحو شمال إفريقيا من طرف العسكريين المتمركزين بالحاميات الإسبانية والبحارة والأوروبيون من مختلف الفئات، يقدم لنا بروديل إحدى هذه الهجرات: ".... بمدينة جربة قبل تسليم الحصن للأتراك انضم عدد من الإسبان إلى العثمانيين تخلوا عن رفاقهم ودينهم، وفي الكثير من الأحيان كانت تغادر القوارب الصغيرة من الصقلية باتجاه سواحل الشمال الإفريقي محملة بالكثير من الناس لهم الرغبة في تغيير دينهم، وفي غوا نفس الظاهرة تم ملاحظتها بين البرتغاليين، وكذلك من كورسيكا وسردينيا، الصقلية، كالابريا، جنوة، البندقية وإسبانيا، ومن كل نقطة في العالم المتوسطي شهدت دخول العديد من الأوروبيين الإسلام بينما لم يكن تدفق مماثل في الاتجاه الآخر"⁴⁰.

وكثيرا ما كان يفضل الجنود الأسبان الذين يفرون من حامياتهم العسكرية بوهران والمرسى الكبير حياة العبودية والأسر بالجزائر على ما كانوا يعيشونه مع الأسبانيين، وحسب فالير كانوا يعتقدون أنهم سيجدون وضعاً مغايراً وأفضل من وضعيتهم داخل الحاميات الإسبانية⁴¹.

يواصل بروديل التعليق على هذه الهجرات باتجاه الإسلام، "إن الأتراك فتحوا الأبواب أمام المسيحيين في وقت كانت المسيحية تصده، وهو الذي خلفه التعصب الديني الذي أدى إلى عدم الترحيب بالغرباء، فجميع الذين طردوا من الأراضي الأوروبية، اليهود سنة 1492، والمورسكيون خلال القرن السادس عشر، كلهم توجهوا نحو ديار الإسلام حيث العمل والمال"⁴².

وكانت الجزائر بعد نابولي من أكبر الأسواق لبيع السلع والغنائم البحرية تستقطب القراصنة الأوروبيين خاصة الهولنديين، فبعد معركة ليبانتو أصبح البحر الأبيض المتوسط من اهتمامات هولندا وأصبح قراصنتها يستخدمون الموانئ الجزائرية للإغارة على السواحل الإسبانية، لكن الهدنة التي وقعت بين هولندا وإسبانيا عدوة الجزائر شكلت مشاكل للقراصنة الهولنديين الذين لم يرغبوا في التخلي عن مصالحهم بالمنطقة ما دفع الكثير منهم إلى الانضمام إلى الجزائر، ففي سنة 1625 ضمت البحرية الجزائرية خمسة وخمسون قائداً في البحرية الجزائرية منهم مراد رايس انضم سنة 1612⁴³.

ومن أسباب توالي الهجرات الأوروبية على شمال إفريقيا وقدم المسيحيين للبحث عن العمل، التطور الهام الذي حدث بداية القرن السابع عشر فبعد موت الملكة الإنجليزية إليزابيث سنة 1603، عقد خليفها جيمس الأول الصلح مع إسبانيا وأنهى الحروب الطويلة بين البلدين بتوقيع معاهدة السلم سنة 1604، وفي جانب آخر انتهى الصراع بين إسبانيا والأراضي المنخفضة واستقل الهولنديون عن إسبانيا، ونتيجة لهذا أصبح العديد من القراصنة الانجليز والهولنديين الذين اثروا في الصراع ضد إسبانيا غير ضروريين، واتجهت حكوماتهم في اتخاذ إجراءات ضدهم من أجل حماية التجارة الدولية، وعندما لم تعد الفرص متاحة في بلدانهم هاجر الكثير منهم إلى دول شمال إفريقيا حيث وجدوا الترحيب⁴⁴.

ومن بين أشهر البحارة الانجليز الذين التحقوا بسواحل شمال إفريقيا، البحار "وارد" الذي انضم إلى تونس والهولندي سيمون دانسر الذي التحق بالبحرية الجزائرية وأصبح تحت إمرته فرقة بحرية مقابل تعليم البحارة طرق الإبحار على السفن الحربية والدخول إلى المحيط الأطلسي.⁴⁵

تزايد عدد الأعلاج "المتحولين" من المسيحية إلى الإسلام خلال القرنين السادس عشر والسابع عشر، رغم الحملة الدعائية على الإسلام من الكتاب الانجليز وتصويره في كتابات اللاهوتيين من جون فوكس *Jhon foxe* وتوماس برايتمان *thomas Brightman* وفرانسيس بيكون *Francis bacon* بأنه دين شرير سيدمره الرب، وان المتحول لما يتخلى عن إيمانه بالمسيحية فإنه يتلقى العقاب الإلهي، لكن الواقع اثبت أن الأعلاج بعد اعتناقهم الإسلام عاشوا سعداء في البلاد الإسلامية فالأعلاج الانجليز أمثال ادوارد وسامسون أصبح لهم مكانة أواخر القرن السادس عشر وذلك راجع إلى حياتهم الفاخرة في الجزائر.⁴⁶

وعكس الدعايات الأوروبية التي صورت العليج انه شخص سيئ، سكير، ومقامر، واعتنق الإسلام قسرا وبالقوة فقط من اجل نزواته ومن اجل الثروة والمناصب، يوجد الكثير من الأدلة توضح أن الأعلاج اعتنقوا الإسلام عن طيب خاطر دون أن يجبرهم احد على ذلك وكانوا شخصيات محترمة مستعدين للدفاع عن الإسلام والموت في سبيله، فقد تم تربيتهم تربية إسلامية وإشراكهم في التنظيمات العسكرية والإدارية للعثمانيين. " في سنة 1638، مراد راييس عليج من كوريسكا عرف بمحبة الجزائريين له، كانت رغبته الموت عند مواجهة المسيحيين والجهاد من اجل الإسلام والدولة".⁴⁷

وعندما أرسل الملك شال الثاني *Charles II* الكابتن هاملتون لافتناء الأسرى الانجليز في الساحل الإفريقي قال له أنهم لا يرغبون في العودة إلى انجلترا لأنهم سعداء في هذه الأراضي بعد اعتناقهم الإسلام وإنهم يميلون إلى التخلي عن دينهم من اجل حب النساء التركيات الجميلات، وأوضح الكابتن هاملتون أن الإسلام كان ذو قوة حضارية جاذبة لا تستطيع المسيحية منافسة مزاياه الدنيوية، فتخلي الانجليز عن إيمانهم بالمسيحية كان لا شيء بالنسبة لهم أمام الحياة الجديدة التي سيعيشونها بالبلاد الإسلامية.⁴⁸

وعكس ما روجت له كتابات الأسرى والقناصل الأوروبيين أن اعتناق الإسلام كان من اجل الثروة والمال فان الكثير من هؤلاء الأعلاج كانوا من العائلات الثرية والمرموقة بأوروبا، أي أنهم اختاروا الدين الإسلامي طواعية واقتناعا به، كتب "جون دالام *Jhon Dallam* سنة 1599، عن عليج انه كورنيشي المولد وكتب توماس ساند *thomas Sander* أن جون نيلسون عليج وهو ابن احد حراس الملكة، كما قال جون راولنز *Jhon Rawlins* عن رمضان راييس أن اسمه المسيحي هنري تشاندلر وهو ابن احد الأثرياء في ساوثوارك فضلوا اعتناق الإسلام رغبة منهم وطواعية".⁴⁹

4. خاتمة:

لم يكن الأعلاج كما صورتهم لنا المصادر الغربية التي حاولت تشويه صورتهم فالكثير منهم اعتنق الإسلام اقتناعا به ودافع عن رأيه، واستشهد الكثير منهم في المعارك البحرية ضد المسيحيين دفاعا عن الأراضي الإسلامية.

لقد كان الهدف واضحا من الدعاية الدينية ضد الأعلاج وهو الحد من استمرار المسيحيين على اعتناق الإسلام، والتي قادتها الحكومات الأوروبية وشجعت الأسرى ورجال الدين على نشر رواياتهم خاصة ذات البعد الإيديولوجي، في وقت كان الصراع بين الإسلام والمسيحية في أوجه.

5. قائمة المصادر والمراجع:

- 1- الأرشيف الوطني الجزائري:
سجل المحاكم الشرعية 14، الوثيقة 19، سنة 1140هـ
سجل بيت المال، سجل 1، 2، 3، وثيقة 19، سنة 1112هـ
سجل بيت المال، سجل 1، 2، 3، وثيقة 12، سنة 1111هـ
سجل بيت المال، سجل 1، 2، 3، وثيقة 11، سنة 1111هـ
دفتر مهم رقم 13، حكم 10، ع 4، 978هـ
دفتر مهم رقم 13، حكم 64، ع 4، 979هـ
- 2- محمد بن مكرم بن علي أبو الفضل جمال الدين ابن منظور الأنصاري، لسان العرب، ج 2، دار صادر، ط 3، بيروت، 1414هـ.
- 3- المنور مروش، دراسات عن الجزائر في العهد العثماني، القرصنة، الأساطير والواقع، ج 2، دار القصة للنشر، الجزائر، 2009.
- 4- بلقاسم قرياش، اعتناق الإسلام في الأدبيات الانجليزية الحديثة 1595-1750، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، عدد 45، قسنطينة 2، جوان 2016.
- 5- بلقاسم قرياش، الفارات الجزائرية في المحيط الأطلسي 1627، 1631، أيسلندا، أيرلندا أنموذجا، مجلة البحوث التاريخية، المسيلة، العدد 4، 2018.
- 6- جون وولف، 1986، الجزائر وأوروبا 1500-1800، تر، ابو القاسم سعد الله، دار الغرب الاسلامي، ط 1، الجزائر.
- 7- وليم سبنسر، (2006)، الجزائر في عهد رياح البحر، تر، عبد القادر زبادة، دار القصة، الجزائر.
- 8- لويس بيرنارد، جزائريون في أيسلندا 1627، تر، ابو القاسم سعد الله، ابحاث واء في تاريخ الجزائر، ج 5، دار الغرب الاسلامي، بيروت، 2005.
- 9- خليفة حماش، الأسرة في مدينة الجزائر خلال العهد العثماني، رسالة دكتوراه، جامعة منتوري قسنطينة، قسم التاريخ، 2006.

المصادر والمراجع باللغة الأجنبية:

- Belhamissi Moulay, marine et marins d'Alger 1518-1830, T1, bibliotheque nationale d'Algérie, Alger, 1996.
- 2 - Bennassar Bartolomé, Lucile Bennassar, les chrétiens d'Allah, L'histoire extraordinaire des renégats XVI et XVII siècles, paris: perrin, 1989.
- conversion ou reniement? modalités d'une adhésion ambiguë des chrétiens à l'islam (XVI-XVII) - Bannassar, Bartolomé, annales:économies, sociétés, civilisation, N6, 1988.
- 4- Boyer pierre, revue de l'occident "continuation des mémoires des voyages du feu père hérault en barbarie" musulman et de la méditerranée, N19, 1975.
- 1881., Alger, De Grammont traduite et annotée H-D., 5- Diego do Haedo, Histoire des Rois D'Alger Alger, A. Berbrugger et traduction de Dr. Monnereau, Topographie et histoire général d'Alger 6 - Diego do Haedo 1870.
- 7 - De la Primaudaie, en Revue "documents inédits sur l'histoire de l'occupation espagnole en afrique (1506-1574)" Afrique, v19, Alger, 1875.
- 8 - E. Littel, the living age, socond series, VI, New York and Philadephia, 1854.
- 9 - Bernard Vincent préface de , alliances et patrimoine, parenté, La Famille à Alger 17-18 siècles, 9 - Fatiha Loualich 2017., Constantine, média plus
- 10 - Fernand Braudel, the mediterranean and the mediterranean world in the age of philip, VII, translated from the french by sian reynolds, paris, 1972.

- 11 - Fisher sir Godfrey, Legende barbaresque, guerre, commerce et piraterie en afrique du Nord de 1415 à 1830, tr, farida Hallal: office des publication universitaires, Alger 2002.
- 12 - Joseph pitts, A True and faithful Account of the Religion and the Manner of the Mohamatans in which is a particular Relation of their pilgrimage to mecca , Britan, 1717 .
- 13 - wilson Peter lamborn, pirate utopias: moorish corsairs et european renegades, canada, Autonomedia, 1995.
- 14 - Matar Nabil, "the renegade in english seventeenth century imagination" , english literature, 1500-1900, v33, N03,summer, 1993.
- 15 - Maclean, G. Maclean, the rise of oriental travel, english visitors to the ottoman empire, 580-1720, plagrave macmillan, Britain, 2004.
- 16 - Massinger Philip, the Renegado, a tragicomedy, printed by A.M.for john waterson, London, 1630.
- 17 - rawlins John, the famous and wonderfull recoverie of a ship of bristoll, called the exchange, from the turkish pirates of argier, london, 1622.
- 18 - pierre Dan, Histoir de barbarie et de ses corsaires, des royaumes, de villes d'alger, de tunis, de salé, de tripoli, paris seconde édition, 1646.
- 19 - tassy Laugier de, histoire du royaume d'alger avec l'état présent de son gouvernement, de ses forces de terre et de mer et de ses revenus, police, justice et commerce, tr, Henri du Sauzet , Amsterdam, 1742.
- 20 - Gérard van kriecken, corsaires et marchands les relation entre alger et les pays-bas 1604-1830. edition bouchène, Amsterdam , 2002.

6. الهوامش:

- ¹ محمد بن مكرم بن علي أبو الفضل جمال الدين ابن منظور الأنصاري، لسان العرب، ج2 ، دار صادر ، ط3، بيروت، 1414هـ، ص ص 328-326.
- ² ابن منظور، المصدر السابق، ص 326.
- ³ خليفة حماش، الأسرة في مدينة الجزائر خلال العهد العثماني، رسالة دكتوراه، جامعة منتوري قسنطينة، قسم التاريخ، 2006، ص 112.
- ⁴ Diego do Haedo, Histoire des Rois D'Alger 1881, p136., Alger, De Grammont traduite et annotée H-D.,
- ⁵ سجل بيت المال، سجل 1، 2، 3، وثيقة 19، سنة 1112هـ.
- ⁶ ع 2/14، م 6، الوثيقة 19، سنة 1140هـ.
- ⁷ سجل بيت المال، سجل 1، 2، 3، وثيقة 12، سنة 1111هـ.
- ⁸ سجل بيت المال، سجل 1، 2، 3، وثيقة 11، سنة 1111هـ.
- ⁹ خليفة حماش، المرجع السابق، ص 113.
- ¹⁰ Bernard Vincent préface de , alliances et patrimoine, parenté, La Famille à Alger 17-18 siècles, Fatiha Loualich p 111. , 2017, Constantine, média plus
- ¹¹ دفتر مهم رقم 13، حكم 10، ع 4، 978هـ.
- ¹² دفتر مهم رقم 13، حكم 64، ع 4، 979هـ.
- ¹³ خليفة حماش، المرجع السابق، ص 114.
- ¹⁴ المنور مروش، دراسات عن الجزائر في العهد العثماني، القرصنة، الأساطير والواقع، ج2، دار القصة للنشر، الجزائر، 2009، ص 185.
- ¹⁵ Belhamissi Moulay, marine et marins d'Alger 1518-1830, T1, biblioithèque nationale d'Algérie, Alger, 1996, p 115.
- ¹⁶ wilson Peter lamborn, pirate utopias: moorish corsairs et european renegades, canada, Autonomedia, 1995, pp 11-13
- ¹⁷ Diego do Haedo, Op. cit, p48.
- ¹⁸ Diego do Haedo, op.cit, p136.
- ¹⁹ بلقاسم قرياش، اعتناق الإسلام في الأدبيات الانجليزية الحديثة 1750-1595، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، عدد 45، قسنطينة 2، جوان 2016، ص 14.
- ²⁰ John rawlins, the famous and wonderfull recoverie of a ship of bristoll, called the exchange, from the turkish pirates of argier, london, 1622, p 17.
- ²¹ Dan pierre, Histoir de barbarie et de ses corsaires, des royaumes, de villes d'alger, de tunis, de salé, de tripoli, paris seconde édition, 1646, pp 334-343.

- ²² Dan pierre, op. cit, p 336 .
- , revue de l'occident "continuation des mémoires des voyages du feu père hérault en barbarie"²³ Boyer pierre, musulman et de la méditerranée, N19 , 1975, p59.
- ²⁴ Boyer pierre, op. cit, p 59.
- ²⁵ Maclean, G. Maclean, the rise of oriental travel, english visitors to the ottoman empire, 580-1720, plagrave macmillan, Britain, 2004, p 173.
- ²⁶ Matar Nabil, "the renegade in english seventeenth century imagination", english literature, 1500-1900, v33, N03,summer, 1993, p 490.
- ²⁷ Matar Nabil, op.cit, p 489.
- ²⁸ tassy Laugier de, histoire du royaume d'alger avec l'état présent de son gouvernement, de ses forces de terre et de mer et de ses revenus, police, justice et commerce, tr, Henri du Sauzet , Amsterdam, 1742,pp 86, 87.
- ²⁹ Maclean, G. Maclean, op. cit, p 174.
- ³⁰ Joseph pitts, A True and faithful Account of the Religion and the Manner of the Mohamatans in which is a particular Relation of their pilgrimage to mecca , Britan, 1717,p 146.
- ³¹ جون وولف، المرجع السابق، ص 165.
- ³² E.Littel, the living age, socond series, VI, New York and Philadephia, 1854, p 58.
- ³³ Bennassar Bartolomé, Lucile Bennassar, les chrétiens d'Allah, L'histoire extraordinaire des renégats XVI et XVII siècles, perrin, paris, 1989, p 254.
- conversion ou reniement? modalités d'une adhésion ambiguë des chrétiens à l'islam (XVI-XVII)³⁴ Bannassar, Bartolomé, annales:economies, sociétés, civilisation, N6, 1988,1349. "XVII)
- Alger, .A. Berbrugger et traduction de Dr.Monnereau,, Topographie et histoire général d'Alger ³⁵ Diego do Haedo p 50. ,1870
- , en Revue "documents inédits sur l'histoire de l'occupation espagnole en afrique (1506-1574)"³⁶ De la Primaudaie, 348. -Afrique, v19, Alger, 1875,pp 346
- ³⁷ ولیم سینسر، (2006)، الجزائر في عهد رياس البحر، تر، عبد القادر زبادية، دار القصبة، الجزائر، ص 174.
- ³⁸ Gérard van kriecken, corsaires et marchands les relation entre alger et les pays-bas 1604-1830. edition bouchène, Amsterdam , 2002, p 139.
- ³⁹ Matar Nabil, op.cit, p 489.
- ⁴⁰ Fernand Braudel, the mediterranean and the mediterranean world in the age of philip, VII, translated from the french by sian reynolds, paris, 1972, p 800.
- ⁴¹ المنور مروش، المرجع السابق، 279.
- op. cit, p 800. ⁴² Fernand Braudel,
- ⁴³ بلقاسم قرياش، الغارات الجزائرية في المحيط الاطلسي 1627، 1631، أيسلندا، ايرلندا أنموذجا، مجلة البحوث التاريخية، المسيلة، العدد 4 ، 2018، ص 66.
- ⁴⁴ بيرنارد لويسن، جزائريون في ايسلندا 1627، تر، ابو القاسم سعد الله، ابحاث واء في تاريخ الجزائر، ج5، دار الغرب الاسلامي، بيروت، 2005، ص 80.
- ⁴⁵ قرياش بلقاسم، الغارات الجزائرية..... المرجع السابق، ص 65.
- ⁴⁶ Matar Nabil, op.cit, p 4
- ⁴⁷ Fisher sir Godfrey, Legende barbaresque, guerre, commerce et piraterie en afrique du Nord de 1415 à 1830, tr, farida Hallal: office des publication universitaires, Alger 2002,p 138.
- ⁴⁸ Matar Nabil, op.cit, p 4
- ⁴⁹ Ibid.